Diaa Al-Fekr Journal for Research and Studies

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

Journal Homepage: https://ojs.diaalfekr.com/index.php/sjlb

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

Vol. 1, Issue 8, 2025, pp. 54 – 80

المباحث العقدية عند الإمام الشعراوي من خلال تفسيره لسورة الأنعام

Doctrinal Discussions According to Imam Al-Shaarawy Through his Interpretation of Surat Al-An'am

DOI: https://doi.org/10.71090/gpm5ws21

علاوي، علي مجدي. (٢٠٢٥). المباحث العقدية عند الإمام الشعراوي من خلال تفسيره لسورة الأنعام، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات، المجلد (١)، العدد (٨)، ص ص. ٥٤ – ٨٠. https://doi.org/10.71090/gpm5ws21

المباحث العقدية عند الإمام الشعراوي من خلال تفسيره لسورة الأنعام

Doctrinal Discussions According to Imam Al-Shaarawy Through his Interpretation of Surat Al-An'am

أ. د. علي مجدي علاوي*

Prof. Dr. Ali Majdi Allawi *

الملخّص:

المباحث العقدية عند الإمام الشعراوي من خلال تفسيره لسورة الأنعام. لا يخفى على كل طالب علم أنّ مفسّر هذا العصر، الشيخ الشعراوي رحمه الله، كان يتمتّع بمكانة علمية رفيعة حباه الله تعالى بها، وذلك لأنّه قضى جل حياته في دراسة كتاب الله تعالى، شرحًا وتفسيرًا وبيانًا.

وقد أردت من خلال هذا البحث إبراز موسوعية هذا العالم الجليل، وتنوع معارفه في كافة العلوم، ومنها علم العقيدة. وقد سلطتُ الضوء على المناقشات العقائدية، وأهم قضايا العقيدة، وكيف تناولها بأسلوب يجمع بين أصالة الماضي وعمق التطبيق، وبين ثقافة الحاضر وقوة الإقناع.

الكلمات المفتاحية: المباحث العقدية، الشعراوي، علم الكلام، سورة الأنعام.

Abstract:

Doctrinal Discussions of Imam Al-Shaarawy Through His Interpretation of Surat Al-An'am It is not hidden from every student of knowledge that the interpreter of this era, Sheikh Al-Shaarawy (may God have mercy on him), possessed a lofty scholarly status that God Almighty bestowed upon him. This was due to the fact that he devoted most of his life to the Book of God Almighty, explaining, interpreting, and explaining it.

Through this research, I wanted to demonstrate the encyclopedic breadth of this unique scholar and the diversity of his knowledge in all sciences, including the science of doctrine. I shed light on the theological discussions, the most important issues of doctrine, and how he addressed them in a way that combines the authenticity of the past and the depth of practicality with the culture of the present and the power of persuasion.

Keywords: Doctrinal Discussions, Al-Shaarawy, Theology, Surat Al-An'am.

* كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية – العراق.

Email: Alimm.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

* College of Basic Education/ University of Mustansiriyah – Iraq.

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم البعث والحشر والدين.

وبعد، فإنّ كثيرًا من الناس الذين قدر الله تعالى وجودهم في هذه الحياة الدنيا عاشوا فيها ورحلوا عنها ولم يقدموا شيئًا للأمة يذكر، ومنهم من كان على العكس من ذلك إذ لم يرضَ لنفسه أن يعيش هامشيًا دون أن يحقّق لدينه ومجتمعه وأمته ما تنتفع به، فبقي ذكره خالدًا وشأنه مرتفعًا رغم رحيله المادي عن عالمنا، ومن هؤلاء الأفذاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله) الذي أضاء صفحة من صفحات التاريخ بدعوته وفكره النير، وقد نذر جل حياته لكتاب الله تعالى مفسرًا وشارحًا ومدافعًا فيه عن الإسلام، ولونه بالقرآن العلوم والفنون التي فتح الله تعالى عليه بها من فضله، وكان من جملة هذه العلوم علم العقيدة الإسلامية حيث تناول في تفسيره لسورة الأنعام مباحث تخص هذا العلم الشريف بأسلوب فيه من السهولة واليسر ما يستطيع معه كل مثقف وعامي أن يفهم مراده.

وقد جاء بحثي هذا بعنوان (مباحث العقيدة عند الإمام الشعراوي من خلال تفسيره لسورة الأنعام) ليسلط الضوء على أهم قضية تناولها الشيخ (رحمه الله) من قضايا الدين ألا وهي قضية الإلهيات في باب العقيدة وكيف عرض وعالج وكشف عن الكثير من خبايا مباحثها بصورة تتلاقى فيها أصالة الماضي وعمق العلمية مع ثقافة الحاضر وقوة الاقناع ليتسم بحثه لهذه المسائل يعرض ما هو جديد في هذا المضمار، فأسأل الله تعالى أن أكون قد كتبت فوقفت ووفقت في هذا العمل خدمة لهذا الدين الحنيف وأهله.

وقد قسّم البحث إلى المقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. ذكرت فيه أبرز ما توصلت إليه من نتائج أسأل الله تعالى القبول والسداد وصلى الله على عبدك وخيرتك من خلقك محمد الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

السيرة الذاتية والعلمية للشيخ الشعراوي (رحمه الله):

أ- اسمه نسبه وكنيته:

أبو عبد الرحيم محمد بن سيدي متولي الشعراوي، من علماء مصر ينتهي فيه إلى سلالة بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا ما صرح به في كتابه[١].

(١) ينظر: الشعراوي انا من سلالة اهل البيت ، سعيد ابو العينين، د/ط ٧.

ب- ولادته ونشأته وطلبه العلمي:

ولد الشيخ الشعراوي في ١٥ نيسان سنة ١٩١١م بقرية دقدوس [١]، مركز مدينة ميت غمر، في مصر من عائلة متوسطة الحال، وكان أبوه حريصًا على تعليمه العلوم الشرعية منذ صغره حيث سلمه إلى الكتاب وكانت محطته الأولى في طلبه للعلم ليتم فيها حفظ القرآن الكريم في سن الحادية عشر سنة، ثم تدرج في التعليم الأولي في معهد الزقازيق الديني الأزهري، حيث أتم مرحلة الابتدائية والثانوية، ثم التحق بكلية اللغة العربية، ليتخرج منها عام ١٩٤٩. ثم حصل على الإجازة العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣. وبعد تخرجه عين الشعراوي في المعهد الديني بطنطا، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية وبعد فترة خبرة طويلة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام ١٩٥٠ ليعمل أستاذًا للشريعة في جامعة أم القرى.[٢].

جـ - شيوخه وتلاميذه

تتلمذ الشيخ الشعراوي على يد عدد من أكابر علماء مصر آنذاك أذكر منهم:

١. شيوخه:

- الشيخ عبد الرحمن الشهابي وكان من أوائل الذين تعلم الشيخ الشعراوي على يده القرآن الكريم في الكتاب.
- الشيخ ابراهيم حرموش شيخ الأزهر حيث كان شيخًا للشعراوي في المعهد الأزهري في الزقازيق قبل أن يتولى مشيخة الأزهر، وهو من أرسل تلميذه الشعراوي للتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٩٥٠م.
- محمد صبحي الدين عبد الحميد: رائد حركة التحقيق العلمي الحديثة وشيخ الشعراوي في المدرسة الدينية وفضله ممتدًا ليس على الشيخ الشعراوي وحسب بل وعلى غيره من أهل العلم وطلابه (رحمه الله) وغيرهم من العلماء الكثير الذين يطول بنا المقام حصرهم واستقصائهم في البحث[٣].

[١] () دقدوس: بلدة بليدة من نواحي مصر في كورة الشرقية، ينظر: معجم البلدان ، ياقوت الحموي ابو عبد الله ، دار الفكر، بيروت،٤٥٨/٢.
[٢] () المصدر السابق ٤٥٨/٢.
[٣] () ينظر الشيخ الشعراوي وحيث الذكريات ٤٢/٢١ ومذكرة امام الدعاة ٣٢-٣٣، ومحمد متولي الشعراوي وجولة في ذكر الموضوعي ٢٠نقلا عن منهج الشيخ الشعراوي في قضايا العقيدة/٢١/٢٠.

٢. تلاميذه:

نظرًا للمكانة العلمية التي تمتع بها الشيخ الشعراوي والمناصب التي عين فيها وشغلها إضافة إلى الدروس التي كان يقيمها في المساجد، والمؤسسات العلمية، والكتب التي ألفها وسفره إلى كثير من البلدان العربية والعالمية كل ذلك خلق عدد كبير من طلبة العلم الذين تتلمذوا على يديه ولا زال الكثير منهم بعد موت الشيخ يتتلمذون على ما خلفه من تراث علمي زاخر خطي البحث باهتمام طلبة العلم وأهله.

٣. مؤلفاته:

خلف الشيخ الشعراوي (رحمه الله) علميًا زاخرًا في شتى فنون العلوم الشرعية بلغت أكثر من ستين مؤلفًا وسأذكر بعضًا منها طلبًا للاختصار وكما يأتي:

- خواطر الشيخ الشعراوي وهذا من أهم وأكبر مؤلفاته إذ يعدّ أول تفسير شفويّ عرضه الشيخ (رحمه الله) من خلال القنوات المرئية والمسموعة[١].
- معجزات الرسول (صلى الله عليه وآله) القاهرة : دار المسلم، ١٤٠١هـ.
- شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها جمع وأعداد وترتيب، بيروت، دار العلم.
- أسماء الله الحسنى، مطابع أخبار اليوم رقم الإيداع، ١٤١٠/٩٣، مصر.
- الفقه الإسلامي الميسر وأدلته الشرعية على طريقة السؤال والجواب، مركز التراث الإسلامي، مصر القاهرة، طبع سنة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

ج- وفاته:

وفاته صبيحة يوم الأربعاء ٢٢ صفر ١٤١٩ هـ والموافق ١٩٩٨/٦/١٧م انتقلت الروح إلى باريها عن سبعة وثمانين عامًا وشهرين وستة عشر يومًا ودفن في قرية دقدوس، رحم الله الشيخ الشعراوي، وعفا عنه وجازاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء اللهم آمين.

[١]() ولو ان الشيخ لم يسمه تفسيرا في افتتاحية ولعله والعلم عند تواضعا منه اذ قال (خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسير للقرآن وإنما هي هبات تحطر على قلب مؤمن او اية او يضع ايات؟

المبحث الأول: أدلة وجود الله تعالى عند الشيخ الشعراوي:

- **المطلب الأول :- أدلة وجود الله تعالى:**

هذا المبحث من المباحث المهمة التي لها علاقة كبيرة بمبحث توحيد الله تعالى، إذ يعد الأساس الذي يرسم لسالك طريق المعرفة مسيرة بعد النظر في حقائقه وما يفرزه من نتائج تكون العمدة في بيان المنهج الذي يسير عليه صاحبه في تحديده للمفاهيم الرئيسة في باب أصول الدين، فهو كالأساس بالنسبة للبناء، والمذاهب العقدية عامة على اختلاف مشاربهم متفقون على وجوب معرفة الله تعالى[١]. وإن اختلفت أدلتهم صاغوها بناء على ما حصل له كل مذهب من المذاهب في هذه القضية، لأنّ الهدف منها يصب في دائرة واحدة وهي معرفة الخالق (سبحانه وتعالى)، وقد تطرق الشيخ الشعراوي في تفسيره إلى هذه القضية المهمة ونبه إليها وعرضها بطريقة فيها من السهولة واليسر ما يستطيع فهمها العامي فضلًا عن العالم ومن الأدلة التي ساقها في تفسيره ما يأتي:

- **الدليل الأول – دليل الفطرة:**

من الأدلة التي نبه الشيخ الشعراوي عليها في هذا الجانب دليل الفطرة وأنها من أساسيات هذا الباب وهذا ما يمكن أن نستشفه في معرض بيانه لقوله تعالى **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)**[٢](سورة الأنعام – آية١) ساق مثالًا وضح فيه أهمية هذا الدليل فقال: إذا هبط الإنسان في مكان ليس فيه أحد ثم نام وقام فوجد مائدة عليها كل أطايب الطعام والشراب، وبجانب ذلك وجد خيمة فيها فراش وغطاء وصنبور للغسيل. وساعة يرى كل ذلك فهو لا يبدأ في استخدام أي شيء قبل أن يتساءل عن مصدره؛ لأنه يريد أن يشكر الذي أنعم عليه كل هذه النعم السابغة فكأنك – أيها الإنسان – حين واجهت الكون ووجدت أشياء تخدمك ولا عمل لك فيها، ولا للسابقين عليك عمل فيها، لأن أحد لم يدعها لنفسه، فوجدت شمسًا تشرق، وهواءً يهب وماءً يروي، وأرضًا تزرع وغير ذلك من كل ما يخدمك، وأخبرك الحق أنه هو الذي منحك كل هذا ألا تشكره إذن ؟![٣].

---

(١) الا ان الخلاف الذي دار بين المذاهب العقدية هو من الموجب فذهبت المعتزلة إلى معرفة الله تعالى تجنب بالعقل وتدرك به فقط وذهبت الاشاعرة إلى انها تجنب بالشرع والعقل يعضده، وذهبت المارجدية، إلى انها تجنب بالعقل والشرع يعضده، اما اهل الاثر فبعضهم وافق متكلمو اهل السنة، وذهب غالبهم إلى ان معرفة الله تعالى تجنب بالشرع وتحصل به ينظر رسالة البحتري إلى اهل زبيد في الرد على انكر الحرف والصوت عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوئلي البكر ، ابو نصر (ت٤٤٤هـ) تحقيق :محمد بن كريم بن عبد الله ١٣٥ط/٤٢٣/٢هـ -٢٠٠٢م والقواعد في العقائد للغزالي ٩١ واتحاف السادة المنتقين ،محمد بن محمد الزبيدي، مؤسسةالتاريخ العربي، بيروت، ط١٤١٤ هـ ١٩٩٤م ٨٦/٢ وعمدة المريد لجوهرة التوحيد ، للشيخ ابراهيم اللقاني (ت :١٠٤) تحقيق رياض جلوب جاسم العيساوي.٩٠

(٢) سورة الأنعام الآية ١.

(٣) خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع اخبار اليوم ٢٩٠/١٠.

فالشيخ الشعراوي وإن كان يتكلم على مسألة ذكر الله تعالى وشكره على وافر نعمه على الخلق والإيجاد إلّا أنه ربط هذا الدليل بقضية إيجاد الأشياء وصنعها مع دعوة الإنسان إلى التفكر في الموجد لها، وصاحب الفطرة السليمة مقرّ ومعترّف بأن الذي أوجدها يستحق الشكر والثناء، وهذا الدليل أي – الفطرة – من الأدلة التي نبه عليها القرآن الكريم. فالفطرة السليمة مغروز فيها الإقرار بوجود الرب الخالق، والنفوس الإنسانية تشهد بضرورة وجوده، والمقصود بالفطرة ذلك الشعور الغامر الذي يملأ على الإنسان أقطار نفسه إقرارًا يخالفه، وتالها له، والالتجاء بهذا لما عدّه من سبقه من أهل العلم دليلًا صريحًا موصلًا لوجود البارئ جل في علاه كونه مكنونًا في كيان الإنسان وقرارات نفسه، وهذ المكنون في قرارات النفس الفطرة التي فطر الناس عليها[١].

- **الدليل الثاني: دليل العناية بالإنسان وتسخير الموجودات له:**

ومن الأدلة على وجود لله تعالى التي نبه الشيخ الشعراوي (رحمه الله) عليها في تفسيره شأنه في ذلك شأن متكلمي أهل السنة هو: دليل العناية بالإنسان وما أعدّه الله تعالى إليه من إمكانات استبقاء الحياة الرغيدة[٢].

وأنه سبحانه لم يخلق عباده ويتركهم هملًا، بل سخر لهم كل ما في السموات والأرض لأداء ما هو مطلوب منهم تحقيقه وهو إفراده (سبحانه وتعالى) بالوحدانية وإقرارهم إليه بالعبودية، وهذا ما نطالعه عند تفسيره لقوله تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)**[٣](سورة الأنعام – آية٩٩).

كان السياق يقتضي أن يقول (سبحانه وتعالى) أنزل من السماء ماءً (فأخرج) لكنه هنا قال **(فَأَخۡرَجۡنَا)**؛ لأن كل شيء لا يوجد لله فيه شبهة شريك؛ فهو من عمله فقط، ولا يقولن أحد: أنه أنزل المطر وأخرج النبات؛ لأنّ الأرض أرض الله لمخلوقه له والبذور خلقها الله، والإنسان يفكر بعقل خلقه الله وبالطاقة المخلوقة له، وأنت حين تنسب الحاجات كلها إلى صانعها الأول، فهو إذن الذي فعل، لكنه احترم تعبك، وهو يوضح لك: حين قال **(فَأَخۡرَجۡنَا)** أي أنا وأسبابي التي منحتها لك، أنا خلقت الأسباب، والأسباب عملت

[١]() ينظر: الفتاوى الكبرى، احمد بن عبد الحليم بن تيميه الحرافي ابو العباس، دار المعرفة، بيروت،ط١، ١٣٨٦هـ تحقيق حسنين محمد مخلوف ٣٧/٢، والمسامرة بشرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة للامام كمال الدين بن محمد بن ابي شريف المقدسي، ت ٩٠٦ تحقيق صلاح الدين الحمصي ، ٢٠٠٩، ٦٦٠٦٧.
[٢]() ينظر الخواطر للشعراوي ١٨٨/١.
[٣]() سورة الأنعام ، آية ٩٩.

معك، فإذا نظرت إلى مسبب الأسباب فهو الفاعل لكل شيء، وإن نظرت إلى ظاهرية التجمع والحركة فالأسباب التي باشرها الإنسان موجودة؛ لذلك يقول **(فَأَخْرَجْنَا)**.

وسبحانه (جلّ جلاله) قد يتكلم في بعض المواقف فيثبت للإنسان عملًا؛ لأنّه قام به بأسباب الله الممنوحة له، ولكنه ينفي عنه عملًا آخر ليس له فيه دخل بأي صورة من الصور مثل قوله تعالى **(أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ*أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)** [١]. سبحانه هنا ينسب لنا الحرث، لأنّنا قمنا به ولكن بأسباب منه (سبحانه وتعالى) فهو الذي أنزل الحديد الذي صنعنا منه المحراث وهدانا إلى تشكيله بعد أن ألانه لنا بالنار التي خلقها لنا، وبالطاقة التي أعطانا إياها، أما الزراعة فليس لأحد منّا فيها عمل ولذلك يقول (سبحانه وتعالى) **(وْلو نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ)**[٢].

هنا (سبحانه وتعالى) أتى بـ (اللام) في قوله تعالى **(لَجَعَلْنَاهُ)** للتأكيد، لأن الإنسان له في هذا الأمر عمل، أي أنّه حرث وتعهد ما زرعه بالري والكل حتى نما وأثمر، لكن قد تصيبه آفة تقضي عليه، فالأسباب وإن كانت قد عملت إلا أنّها لا تضمن الانتفاع بثمرة الزرع، ذلك لأنّ الأسباب لا تتمرد، ولا تتابى على الله ولا تخرج عليه، إنّها تؤدي ما يريده منها الله وقد يعطلها الله، وأما في إنزال الماء فلم يقل (سبحانه وتعالى) **(لَجَعَلْنَاهُ)** وإنّما قال **(جَعَلْنَاهُ)** لأنه ليس لأحد فيه عمل لذلك لم يؤكده بـ (اللام).

(فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) أي جميع أصناف النبات **(فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا)** أي من ذلك النبات الخضر (حبًا متراكبًا) بعضه فوق بعض من قمح وشعير وذرة وأرز وغير ذلك من أصناف الزروع.

وفي وصفه بأنه متراكب إشارة إلى أنّ حبوبه متعدّدة وجميعها تستمد من مادة واحدة، وهي لا تختلط بل هي متفرقة الحبوب مجتمعة الأصول، وأشار أيضًا إلى كثرتها وشمول ريعها وغلتها ليبقى أصل البذر ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار.

(وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) والنخل عند العرب له مكانة عالية، لأنه يعطي لهم الغذاء الدائم فيذكرهم به (والطلع) هو أول شيء يبدو من ثمر النخل فينشق ويخرج منه القنو، أو العزق، أو العرجون وهو الجزء الذي توجد فيه الشماريخ التي يتعلق بها البلح. والطلع يخرج منه القنوان والقنوان دانية

(١) سورة الواقعة ، الآية ٦٣-٦٤.
٢() سورة الواقعة ، الاية ٦٥.

أي قريبة وسهلة المنال لنعرف نعمة الله أنّه جعلها تتدلى، ويطلق الطلع مرة على الأكمام (والكم) هو ما توجد في قلبه الثمار ومرة يطلق على الثمر نفسه **(والنخل باسقات لها طلع نضيد)**[1].

وهنا ألفت نظر القارىء **إلى أمرين:**

أوّلًا– تنبه الشعراوي (رحمه الله) إلى أنّ وراء هذه المخلوقات العظيمة التي خلقها الله تعالى وأيدها وسخرها لخدمة الإنسان الكريم على ربه لم تكن محض مصادفة بل من وراءها قصد كبير وهو ضمان عيش المكلفين لما يعينهم على تحقيق الهدف وهو عبادة الله تعالى وحده وخلع ما يعبد من دونه.

ثانيًا– تسمية الدليل بـ العناية والاختراع بخلق واخراج النبات واختلاف الأشكال والأنواع **(مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ) (لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ)** إذ أنّ وصف المخترع يطلق على المخلوق الذي يصنع شيئًا من شيء موجود لم يكن معهود من قبل فالأشكال متعددة والصانع واحد، والخلق واليسر والتسخير للإنسان من عدم يعطي طابع الفهم والفطنة والله أعلم.

- **الدليل الثالث** – دليل الغيب الحاضر:

قد يكون عنوان هذا الدليل منه شيء من الغرابة لكن عند بيانه يزال هذه الإشكال فالشيخ الشعراوي لم يغفل الأدلة المادية التي ساعدت العلم الحديث على اكتشافها والتي ترسخ قضيتين مهمتين:

القضية الأولى: الإيمان بالغيب.

والقضية الثانية: الإيمان بوجود الله تعالى خالق هذا الغيب.

وممّا ذكره في هذا الجانب قوله: أراد الله تبارك وتعالى رحمة بعقولنا أن يقرب لنا قضية الغيب فأعطانا من الكون المادي أدلة على أن وجود الشيء، وإدراك هذا الوجود شيئان منفصلان تمامًا، فالجراثيم مثلًا موجودة في الكون تؤدي مهمتها منذ بداية الخلق، وكان الناس يشاهدون آثار الأمراض في أجسادهم من ارتفاع في الحرارة وحمى وغير ذلك وهم لا يعرفون السّبب.

فلما ارتقى العلم وأذن الله لخلقه أن يروا هذا الوجود للجراثيم، جعل الله العقول قادرة على أن تكتشف المجهر الذي يعطينا الصورة مكبرة، لأن العين قدرتها البصرية أقل من أن تدرك هذه المخلوقات الدقيقة.

[1]() سورة ق ، الاية ١٠

ولما اكتشف العلم المجهر استطعنا أن نرى هذا الجراثيم ونعرف أن لها دورة حياة وتكاثر إلى غير ما يكشفه الله لنا من علم كلما تقدم الزمن، وعليه فإن عدم قدرتنا على رؤية أي شيء لا يعني أنه غير موجود، ولكن آلة الإدراك وهي البصر عاجزة عن أن تراه، لأنّه غاية في الصغر، فإذا جئت بالمجهر كبر لك هذا الميكروب ليدخل في نطاق وسيلة رؤيتك وهي العين.

ورؤيتنا للجراثيم والميكروبات ليست دليلًا على أنها خلقت ساعة رأيناها، بل هي موجودة تؤدي مهمتها سواءً رأيناها أو لم نرها، فلو حدثنا أحد عن الميكروبات والجراثيم قبل أن نراها رؤية العين هل كنا نصدق؟ والله (سبحانه وتعالى) ترك بعض خلقه غير مدرك في زمنه البعض من حقائق الكون ليرتقي الإنسان ويدرك بعد ذلك، وكان المفروض أنه يزداد إيمانًا عندما يدرك. وليعرف الخلق بالدليل المادي أن ما هو غيب عنهم موجود وإن كنا لا نراه [١].

وهذا الدليل الذي أشار إليه الشعراوي (رحمه الله) فيه إعجاز للقرآن الكريم من جهة، وفيه من جهة أخرى بيان العقيدة السليمة التي ربي رسول الله (ﷺ) أصحابه عليها.

أما جهة الإعجاز فتكمن في قسم الله تعالى بما يُبصر من الموجودات وما لا يُبصر، إذ قال تعالى: **(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)**[٢]، فالمبصر يؤمن به كل واحد من الناس، وما لا يبصر وهو مقصود الشيخ مما ضرب له من مثال أي الجراثيم والبكتيريا إلخ – فهذا يدل على وجود هذه الكائنات منذ القدم وإن لم تشاهد فقد أثبتها العلم الحديث الآن، وهذا إن دل على شيء يدل على صدق هذا الكتاب الخالد.

وأما الجهة الثانية فهي بيان مدى رسوخ الإيمان عند المسلمين آنذاك وتصديقهم بما أخبر الله تعالى به رغم عدم مشاهدتهم إياه. وهذا المثال الذي ذكره الشيخ الشعراوي في تفسيره واحد من أمثلة عدة تكفي من نور الله تعالى بصيرته أن يدرك الحقيقة ويعلمها ولا يبقى يجادل ويماري في الحق فهو أوضح من الشمس في رابعة النهار [٣].

[١] () الخواطر، للشعراوي ، ١٢٩/١.
[٢] () سورة الحاقة – آية ٣٨-٣٩
[٣] ( ) أحيل القارئ إلى مطالعة كتاب الأدلة المادية على وجود الله للشيخ الشعراوي، فقد ذكر من الأدلة المادية والحقائق العلمية لا يبقى للمقابل معه شك في تصديقها والاقتناع بها فليراجع.

المبحث الثّاني: مفهوم التوحيد وبيان أقسامه:

- **المطلب الأول :- مفهوم التوحيد في اللغة والشرع:**

أولًا: التوحيد لغة: قال ابن فارس: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الإنفراد»[١]. والتَّوْحِيد على وزن التفعيل وَهُوَ مصدر وحدته توحيدًا، كما تقول كلمته تكليمًا، ومعنى وحدته: جعلته مُنْفَرِدًا عَمَّا يُشَارِكهُ أَو يُشبههُ فِي ذَاته وَصِفَاته، وَالتَّشْدِيد فِيهِ لِلْمُبَالَغَة أي بالغت في وصفه بذلك[٢].

وتقول الْعَرَب: وَاحِد وأحد ووحد ووحيد أي: مُنْفَرد ، فالله تَعَالَى وَاحِد، أحد أَي مُنْفَرد عَنِ الأنداد والأشكال في جميع الأحوال».

فَقَوْلهم: وحدت الله: من باب عظمت الله، وكبرته، أي علمته عَظِيمًا وكبيرًا، فَكَذَلِك وحدته: أي علمته وَاحِدًا، منزهًا عَنِ المُثلِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَات[٣].

ثانيًا: التوحيد في الاصطلاح الشرعي: ذكر العلماء للتوحيد تعريفات عدة، من أبرزها:

١- عرفه الباقلاني بقوله: « والتوحيد لله تعالى هو: الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد فرد معبود، ليس كمثله شيء؛ على ما قرر به قوله تعالى: **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)** (سورة البقرة: الآية١٣٦) وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (سورة الشورى: الآية)[٤].

٢- وعرفه القاضي عبد الجبار (تـ ٤١٥ هـ) بأنه: «العلم بأن الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه والإقرار به، ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعًا لأنّه لو علم ولم يقر، أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحدًا[٥].

٣- وقال الأصبهاني في تعريفه: وحدته: أي علمته وَاحِدًا، منزهًا عَنِ المثل في الذات والصفات[٦].

---

[١]() معجم مقاييس للغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (تـ: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، باب الواو والحاء وما يثلثهما ٦ / ٩٠

[٢]()الحجة في بيان المحجة، لابي القاسم الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، (تـ ٥٣٥ هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، ط/ ٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، / ١ / ٣٣٢ .

[٣]() مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال باب الحاء والدال ٣/٢٨١. والحجة في بيان المحجة، للأصبهاني، ١/ ٣٣٢.

[٤]()ينظر: الإنصاف، لابي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت - لبنان، عالم الكتب ط ١، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ م ، ٣٤.

[٥]() شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (تـ ٤١٥هـ) بن أحمد، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة ط / ٣، ١٤١٦ ٥ - ١٩٩٦م ، ١٢٨.

[٦]() ينظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض ، ط/ ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ١/٢٣٢-٢٣٣

٤- وبيّن الشعراوي في تفسيره أن مقتضى الإيمان هو الخضوع لإله واحد لا شريك له[١].

- **المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند المذاهب العقدية:**

تباينت آراء المذاهب العقدية في تقسيمهم للتوحيد على فريقين رئيسين:

الفريق الأول: تقسم المتكلمين للتوحيد:

أ- تقسيم المعتزلة للتوحيد:

بنى المعتزلة أصول مذهبهم على خمسة أركان أولها: التوحيد، ونعتوا أنفسهم بأهل التوحيد والعدل[٢]؛ وكلامهم حول أقسام التوحيد يدور على ما يستحقه المولى سبحانه من الصفات نفيًا واثباتًا، وهذا ما اتضح لنا من خلال بيان مفهوم التوحيد عندهم؛ وممّا ذكروه من أقسام في هذا الجانب الآتي:

الأوّل: إنكار التعدد والانقسام، والاعتقاد أنّ الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه، والإقرار به.

الثاني: أنه المنفرد بالقدم فلا ثاني له، وبنوا على هذا الأصل إنكار الصفات القديمة، الزائدة على الذات لذلك قالوا هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة.

الثالث: أنه المتفرد بسائر الصفات النفسية اللائقة به من كونه قادرًا حيًا،....[٣].

وهذه الأقسام الثلاثة نقلها القاضي عبد الجبار (تـ ٤١٥هـ) عن شيخه أبي علي حيث قال: قال شيخنا أبو علي: إن القديم يوصف بأنه واحد على وجوه ثلاثة: أحدها: بمعنى أنه لا يتجزأ ولا يتبعض، الثاني: بمعنى أنه منفرد بالقدم لا ثاني له، الثالث: بمعنى أنه منفرد بسائر ما يستحق به الصفات النفسية [٤].

ب. تقسيم متكلمي أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية):

---

[١] ( ) الخواطر للشعراوي، ١٨٤/١.

[٢] () التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر : شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (تـ ٤١٥ هـ)، ٦٧-١٢٨ ، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، ط/ ٢، ١٩٧٧، ٣٦

[٣] () ينظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، ٤/٢٤١. والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤ه، تحقيق : محمد سيد كيلاني، ١/٤٤. ومذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، ١ / ٤٧ ، ٥٨ .

[٤] (٤) المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار، ١/٢٤١.

قسم الأشاعرة والماتريدية التوحيد إلى ثلاثة أقسام: وكان محور تقسيمهم يدور حول توحيد الله تعالى في ربوبيته، وما يستحقه سبحانه من إفراد في الذات والصفات والأفعال وفيها يأتي بيان ذلك:

١- قال الشهرستاني: وأمّا التوحيد فقد قال أهل السنة، وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له[١].

٢- وقال الرازي في المطالب العالية: إعلم أنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله[٢].

٣- وقال ابن الهمام في المسايرة التوحيد هو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال[٣].

الفريق الثاني : تقسيم أهل الأثر للتوحيد:

اشتهر عند أصحاب هذا المذهب تقسيمهم التوحيد على ثلاثة أقسام، واستندوا في ذلك على تتبع واستقراء آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وهذه الأقسام هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، هذا من حيث التفصيل، أو على قسمين من حيث الإجمال توحيد الإثبات والمعرفة، وتوحيد الإرادة والطلب ويضمنونها الأنواع الثلاثة حيث يجعلون توحيد الربوبية والأسماء والصفات تحت مسمىً القسم الأول وتوحيد الألوهية ضمن القسم الثاني[٤].

وهذه الأقسام مترابطة فيما بينها؛ لتدلّ على معنى التوحيد، فتوحيد الألوهية يدل على الربوبية بالتضمن فما من محقّق له إلا وهو محقّق لتوحيد الربوبية من باب أولى، ومن ادعى خلافه فقد ادعى الجمع بين النقيضين، وأما توحيد الربوبية، فإنه يدل على توحيد الألوهية بالالتزام، بمعنى أنّ من أقرّ بأنه لا يستحق صفات الربوبية إلا الله تعالى؛ لزم ألا يعبد أحدًا سواه، وأي مخالفة لذلك تدل على خلل في الإقرار بتوحيد الربوبية. أما توحيد الأسماء والصفات؛ فإنه يدل على توحيد الربوبية بالتضمن؛ لدلالة أسمائه الحسنى على ذلك، وعلى الألوهية بالالتزام[٥].

---

[١]() الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤ تحقيق : محمد سيد كيلاني ١ / ٤٠ .

[٢]() ينظر: المطالب العالية، من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي (٥٦٠٦) ، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا، ط / ١٤٠٧١هـ - ١٩٨٧م، ٣/ ٢٥٧ – ٢٥٨.

[٣]() المسامرة في شرح المسايرة، للكمال بن أبي شريف بن الهمام، مع حاشية زين الدين قاسم، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ، ٢٠٠٦،٤٧

[٤]() ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لإبن تيمية، ٢ / ٢٢٦. وطريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (تـ ٧٥١هـ)، ١/٥٦-١،٠٥٧ / ٨٩. وشرح الطحاوية، لابن أبي العز، ١/٤١.

[٥]() ينظر: التعليق الميسر، لوهبي سليمان غاوجي، على منح الروض الازهر في شرح الفقه الأكبر، لعلي بن سلطان محمد القاري، تـ ١٠١٤هـ)، د/ ت، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٤٧ . وتيسير العزيز الحميد، في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (تـ ١٢٣٣ هـ)، تحقيق: زهير الشاويش المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط/ ١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ٣٣ و دعوة التوحيد، للشيخ خليل محمد هراس ، ٨٣-٨٥.

- **المطلب الثالث: أقسام التوحيد عند الشيخ الشعراوي:**

تناول الشيخ الشعراوي في تفسيره أقسام التوحيد تناولًا جمع فيه بين تقسيمات متكلمي أهل السنة وبين تقسيم أهل الأثر. وبما أن كتاب الشيخ كتاب تفسير لا كتاب عقيدة بحث، فقد طرق هذه المسألة طرقًا فيه من السهولة واليسر ما يقنع بحجته المنصف المتأمل الذي يبحث عن الحقيقة ويبغي الوصول إليها، فبعد بيانه في السورة المباركة للآيات التي تحدثت عن أوصاف المنافقين وبيان حالهم ظاهرًا وباطنًا كي يعرفهم المؤمن وينتبه لحالهم ولا يأمن لمكرهم بيّن أن المنافقين لم يكفروا بالله كإله فقط، ويستروا وجوده، ولكن كفروا به كرب، والرب عطاؤه مكفول لكل من خلق مؤمنهم وكافرهم، فهو (سبحانه وتعالى) الذي استدعاهم للوجود وخلقهم، ولذلك فإنه سبحانه يضمن لهم رزقهم وحياتهم، وبيّن (رحمه الله) أنّ المولى جل في علاه لم يحرم خلقًا من خلقه من عطاء ربوبيته في الدنيا، فالشمس تشرق على المؤمن والكافر، والمطر ينزل على من قال لا إله إلا الله ومن ستر وجوده تعالى، والهواء يتنفس به ذلك الذي يقيم الصلاة والذي لم يركع ركعة في حياته، والطعام يأكله الذي يحب الله، والذي يكفر بنعم الله، ذلك أن هذه عطاءات ربوبية يعطيها الله تعالى لكل خلقه في الدنيا. أمّا عطاءات الألوهية، فهي للمؤمنين في الدنيا والآخرة، فالله (سبحانه وتعالى) يلفت انتباه خلقه إلى أنّ عطاء الربوبية من الله (سبحانه وتعالى) لهم يكفي ليؤمنوا بالله ويعبدوه، والحق (سبحانه وتعالى) حينما يخاطب الناس في القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلابد أن يكون الخطاب للناس في كل زمان ومكان منذ نزول القرآن الكريم إلى يوم القيامة[١].

ولفت الشيخ الشعراوي نظر القارئ إلى قضية غاية في الدقة تخص هذه المسألة أي – التوحيد – وهي استخدام الحق (سبحانه وتعالى) لضمير المتكلم عندما يريد التحدث عن فعل يحتاج إلى كمال المواهب منه سبحانه فيقول «إنَّا» كقوله جل شأنه: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[٢]. ولكن حين يتكلم الله سبحانه عن ألوهيته وحده وعن عبادته وحده يستخدم ضمير المفرد كقوله سبحانه:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[٣].

ولا يقول فاعبدنا، إذن ففي كل فعل من أفعاله جل في علاه يأتي الله سبحانه بنون العظمة، وفي كل أمر يتعلق بالعبادة والتوحيد يأتي سبحانه بالضمير المفرد، وذلك حتى نفهم أن الفعل من الله سبحانه ليس وليد قدرته وحدها، ولا علمه وحده ولا حكمته وحدها ولا رحمته وحدها، وإنما كل فعل من أفعال الله تكاملت فيه

[١]() ينظر : الخواطري للشعراوي، ١٨٣/١.
[٢]() سورة الحجر ، الاية ٩.
[٣]() سورة طه ، الاية ١٤.

صفات الكمال المطلق الله سبحانه فنون العظمة أتت لتلفتنا إلى هذه الحقيقة لتبرز للعقل تكامل الصفات في الله لأنك قد تقدر ولا تعلم، وقد تعلم ولا تقدر، وقد تعلم وتغيب عنك الحكمة، إذن فتكامل الصفات مطلوب[١]. في إبراز قضية ما في الوجود أو الإشارة إليها. هكذا عرض الشيخ الشعراوي (رحمه الله) مسألة توحيد الله تعالى بأسلوب سهل ممتنع وبحوار هادئ يفهم معناه من أراد الله تعالى به الخير ووفقه له دون أن يغرق في المقدمات الكلامية، ولا في التعقيدات الفلسفية التي تبناها من خاض في هذا الجانب إذ لا أدل على مراد الله تعالى من الخلق تحقيقه غير الله تعالى في كتابه والنبي (ﷺ) في سنته، ودور العلماء الربانيين هو بيان هذا الحق للمكلفين حتى تتم عبادتهم الله تعالى على أتم وجه وأحسن طريق.

المبحث الثالث: الصفات الإلهية:

يعد مبحث الصفات الإلهية من أهم وأخطر المباحث العقدية التي وسعت هوة الخلاف بين الفرق العقدية وتباعدت أقوالهم فيها، فمنهم من نفى الصفات بحجة أنّ القول بإثباتها يؤدي إلى القول بتعدّد القدماء، ومنهم من أثبت الصفات وغالى في إثباتها حتى شبه الخالق جل في علاه بالمخلوق، وبين آخرين اتبعوا نصوص الوحيين وما كان عليه سلف هذه الأمة فأثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات الكمال من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، ونفوا عنه صفات النقص، وبين من أثبت بعضها وأول البعض الآخر، بحجة أن العقل يجزم بثبوتها، وسأعرض في هذا المبحث أقوال الفرق العقدية ومذاهبهم فيها ومن ثم أعرج على بحث الشيخ الشعراوي إياها ومعالجته لها بعد بيان معنى الصفات في اللغة والاصطلاح الشرعي.

- **المطلب الأول: مفهوم الصفات في اللغة والاصطلاح:**

أوّلًا: الصفة لغة:

قال ابن منظور: هو وصف الشيء له وعليه وصفًا، ووصفه حلاه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر، والصفة الحلية[٢].

[١]() ينظر الخواطري، المصدر السابق، ٥٥٨/١ ـ٥٥٩.
[٢]() ينظر لسان العرب: مادة (وصف)٣٥٦/٩.

وقال صاحب المغرب: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات[١].

قال الجرجاني: "وعلى هذا فالصفة هي معنى قائم بالذات دال عليه كدلالة اللفظ على الكتابة والصفة في الأصل مصدر وصفت الشيء إذا ذكرته بمعان فيه "[٢].

ثانيًا: الصفة في الاصطلاح:

الصفة في الاصطلاح عبارة عن كل أمر زائد على الذات يفهم في ضمن فهم الذات ثبوتيًا كان أو سلبيًا، فيدخل فيه الألوان والأكوان، والأصوات والإدراكات وغير ذلك[٣].

وقال ابن زكريا الأنصاري: هي الأمارة القائمة بذات الموصوف [٤].

أمّا مصطلح الصفات الذي نحن بصدده فالمراد بها صفات الله تعالى، فقد عرفها البيهقي بأنها: «نعوت له أزلية، وصفات له أبدية، تقوم به موجودة بوجوده دائمة بدوامه ليست بأعراض ولا بأغيار ولا حالة في أعضاء غير مكيفة بالتصور في الأذهان ولا مقدورة بالتمثيل في الأوهام[٥].

وهي التي يوصف الله تعالى بها، ولا يوصف بأضدادها، وهي الصفات المعنوية الثابتة الله أزلًا وأبدًا[٦].

فصفات الله تعالى عند المتكلمين وأرباب العقائد ما يجب الله تعالى عقلًا وشرعًا التي لم يزل الباري عز وجل موصوفًا بها، أزلية موجودة بوجود الله تعالى كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والبصر والكلام، ونحو ذلك من الصفات[٧].

- **المطلب الثاني: المذاهب العقدية في الصفات:**

تباينت أقوال المذاهب العقدية في الصفات الإلهية وتبنى كل مذهب عقدي قولًا خاصًا في هذه المسألة ويمكن أن نجمل مذاهبهم في قولين رئيسين:

---

[١]() ينظر: المغرب في ترتيب المعرب ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي (ت ٦١٠ هـ)، دار الكتاب العربي، ب / ط ٥٢١. والتوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ٢١٧.

[٢]() ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١ هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط/ ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٢١٧. والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (تـ ١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ٥٤٦. والتعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، ٧٦.

[٣]() التعريفات ، للجرجاني :٧٦.

[٤]() ينظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت٩٢٦ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط / ١ ، ١٤١١ ، ١ / ٧٢ ، ونشر اللآلي، للدقدوسي، ٣٨.

[٥]() شعب الايمان للإمام البيهقي ، (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت: ١/١١٣.

[٦]() ينظر: شرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ط دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ ، ١٥٥

[٧]() ينظ: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني (تـ ٤٠٣ هـ) تحقيق، عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان، ط / ١٤٠٧١ هـ - ١٩٨٧م ٤٦٢.

الفريق الأول: النافون للصفات وهم المعتزلة ومن وافقهم[١].

فالمشهور من مذهب المعتزلة هو نفي الصفات الزائدة عن الذات، والحقيقة أن الكلام حول نفيهم هذا يحتاج شيئًا من البيان، فالمتقدمون منهم كواصل بن عطاء، وأبو الهذيل ... ذهبوا إلى إن الصفات هي عين الذات، وحجتهم في ذلك : أن إثباتها يؤدي إلى وصف الله تعالى بالجسمية، ومشابهته لخلقه، وبما أنّ الباري سبحانه قديم والقدم أخص وصف ذاته، نفوا أن تكون معه صفات قديمة فقالوا: هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به؛ لأنّه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية[٢]، وفي هذا لا يجوز إثبات ذوات قديمة متعددة[٣]، وبينوا أنّ القول بهذا المعنى يفضي إلى تعدد القدماء – الذات والصفات وهو كفر بالإجماع وبه كفرت النصارى حين قالوا الذات الإلهية أقانيم ثلاثة قديمة[٤].

ونفيهم هذا شامل لجميع أنواع الصفات الذاتية الخبرية منها كالوجه واليدين والساق و... والفعلية كالنزول والاستواء والمجئ لفصل القضاء، بحجة أنّها كلها من قبيل الحوادث، التي يجب تنزيه الله عنها؛ لأنّ من قامت به الصفات قامت به الأعراض، وإذا قامت به الأعراض فهو حادث[٥].

ونرى في المقابل رأيًا آخر في النفي مثله المتأخرون منهم وذلك بحكم مطالعتهم لكتب الفلاسفة والنظر فيها ومجادلتهم أصحابها، فانتهوا إلى إرجاع جميع الصفات إلى صفتين وهما كونه: عالمًا قادرًا ثم الحكم أبو هاشم ومال بأنّها صفتان ذاتيتان. هما اعتباران، للذات القديمة كما قال الجبائي أو حالان[٦]، كما قال أبو الحسين البصري إلى ردهما إلى صفة واحدة وهي العالمية وذلك هو عين مذهب الفلاسفة[٧].

الفريق الثاني: المثبتون للصفات. يمكن تقسيم مثبتي الصفات على قسمين رئيسين مبتدعة وأهل السنة وكالآتي:

---

[١] () كالجهمية إذ يعد نفي المعتزلة للصفات الأزلية امتداداً لقولهم، ومما قاله الجهم: «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيها فنفى كونه حيا عالما وأثبت كونه قادرا فاعلا خالقا لأنه لا يوصف بشيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق الملل والنحل، للشهرستاني، ١/٤٢. و المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١ ، ١٤١٨ه، ٤/١٧٧.

[٢] () الملل والنحل، للشهرستاني، ١/٤٢. وشرح البابرتي، ٤٢.

[٣] () الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (تـ : ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط / ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، ٧٥.

[٤] () الأقنوم: الأصل والشخص، فقولهم الباري تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس، لا التحيز والحجمية، فهو واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم، وسموها الأب والابن، وروح القدس، وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم الملل والنحل، للشهرستاني، ١/٢١٩. و أبكار الأفكار، للآمدي، ٢/١٥ . وينظر : عقيدة الثالوث القويمة، وليم تمبل جردنر، رئيس الجمعية الأسقفية بمصر سابقا، ٢١.

[٥] () ينظر: المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل - بيروت، ط/ ١ ، ١٩٩٧.٣/٢٦. وشرح المقاصد في علم الكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (تـ ٧٩٣هـ)، تحقيق، دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، باكستان، ٢/ ٧٠ – ٧١.

[٦] () الحال: هو عند القائل به عبارة عن كل صفة إثباتية الموجود غير متصفة بأنها موجودة، ولا معدومة، واعتبر أبو هاشم الجبائي هذه الصفات أحوالا لا تعرف بانفرادها، وإنما تدرك من خلال الذات نهاية الإقدام في علم الكلام ، ٤٥. وأبكار الأفكار، للآمدي، ٣/ ٤٠٨ .

[٧] () ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ١٥١ ، والملل والنحل للشهرستاني ١/٤٥. والمنقذ من الضلال للغزالي، ١٠٧.

القسم الأول: مذهب المبتدعة (المجسمة والمشبهة ومن وافقهم وهؤلاء على نقيض من سبقهم من المعتزلة حيث أثبتوا الصفات التي جاءت بها النصوص؛ لكن إثباتهم مخالف لإثبات أهل السنة، حيث شبهوا صفات الخالق بصفات المخلوق فجوزوا أن يكون الخالق جسمًا على هيأة إنسان وأنه من دم ولحم وله أعضاء من يد ورجل ورأس ويد وساق، وجوزوا عليه الانتقال والمصافحة، ونقل الإمام الأشعري عن أئمتهم: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض[١].

وهذه الخرافات فيها من التنفير وسوء المقالة وقلة الأدب ما يمنع العاقل من الاسترسال معهم سواء بعرض آرائهم أو بالرد عليهم، فمذهبهم ساقط لا يقول به عاقل[٢].

القسم الثاني: مذهب أهل السنة: يمكن أن نصنف مذاهب أهل السنة في موقفهم من الصفات إلى صنفين:

الأول: المتكلمين، والثاني: أهل الأثر، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

الصنف الأول: مذهب المتكلمين من أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية) في الصفات:

أ- مذهب الأشاعرة:

موقفهم من الصفات إجمالًا :

المشهور من مذهب الأشاعرة أنهم من مثبتة الصفات، وإن لم يثبتوا جميع ما وردت به النصوص، على من صرف معناه إلى معنى يليق بجلاله تعالى؛ لأنّ القول بها يؤدي إلى اعتبار أن ظاهرها غير مراد ولا بد من إثبات ما يوهم الجسمية ومشابهة المخلوقات؛ لذا فإنهم أثبتوا سبعًا من الصفات وسموها الصفات الذاتية العقلية – أي أن العقل يجزم بثبوتها – وهي القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، فذهبوا إلى أن الله تعالى سميع بصفة تسمى سمعًا، وبصير بصفة تسمى بصرًا ، وعليم بعلم، وقدير بقدرة، ومريد بإرادة، وحي بحياة، ومتكلم بكلام[٣].

وقد وضح الشهرستاني مذهب الأشاعرة في هذه الصفات فقال: " فالصفات على مذهبهم تدل على معان زائدة على مفهوم الذات فهي ليست ألفاظًا مترادفة. قالوا: كما لا يجوز عقلًا أن الأشاعرة أي توجد

[١]() ينظ: الملل والنحل، للشهرستاني، ١/١٠٠.
[٢]() ينظ: العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها، الطيب بن عمر بن الحسين الجكيني، ٨٧.
[٣]() ينظر: أصول الدين للبغدادي، ٩٠ وإشارات المرام، للبياضي، ١٥٨ . المواقف، للإيجي، ٣/٦٦.

ذات الإنسان إلا إذا كانت له صفات زائدة عليها ومغايرة لها وتختلف كل صفة منها عن الصفات الأخرى، كذلك لا يجوز أن توجد الذات الإلهية من غير صفات زائدة على الذات ومغايرة لها"[١].

ثم بيّن مخالفتهم لمن سواهم فقال: لا يقال: الصفة والقول بعينتيها، وذلك مذهب المعتزلة، ولا هي غيره؛ لأنها لو كانت غيره لأصبحت ذواتًا مستقلة قائمة بنفسها وذلك يوجب التعدد والكثرة، بل يقال: إن الذات ومعها الصفة قديمة من غير وجود تغاير، هي هو، لأن ذلك إنكار لوجود لأن الصفة ليست ذاتًا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الذات[٢].

هذا من ناحية إثباتهم للصفات، وأما من ناحية النفي فالأشاعرة يثبتون خمسًا من الصفات السلبية ينزهون بها الرب جلّ في علاه عن مشابهة المخلوقين بنفي أضدادها عنه، وهي القدم، الذي ضده الحدوث، والبقاء الذي ضده الفناء، والوحدانية، التي هي ضد التعدد في الذات والصفات والأفعال، والمخالفة للحوادث، أي عدم مماثلته لشيء منها، والقيام بالنفس – الغنى المطلق – الذي ضده الاحتياج إلى الغير[٣].

وأثبتوا كذلك الصفة النفسية، ويعنون بها الوجود مع اختلاف وقع بينهم في تسمية المراد منها بذلك الاسم، وفي ذلك قال الجويني (ت٤٧٨ هـ): والوجه المرضي أن لا يعد الوجود من الصفات فإن الوجود نفس الذات[٤]. وهذا خلاصة موقفهم العام من الصفات الإلهية.

ب – مذهب الماتريدية:

موقفهم من الصفات إجمالًا:

أثبتت الماتريدية ما أثبتته الأشاعرة من صفات الذات العقلية وزادوا عليها صفة التكوين[٥]، واثبتوا لهذه الصفات معنى حقيقيًا يقوم بذات الرب تعالى فليست هي عندهم مجرد وصف الواصف أو نفي الضد، وأرجعوا باقي الصفات إليها[٦].

[١]() نهاية الإقدام في علم الكلام ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ، مكتبة المثنى، بغداد، ٢٠٠.
[٢]() الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ٥٤ وشرح العقائد النسفية، للتفتازاني ، ٧٥.
[٣]() الإرشاد، للجويني، ٣١-٣٣-٣٤-٥٢ ، وأصول الدين الاسلامي، رشدي عليان وقحطان الدوري، ٨٦-١١٢.
[٤]() الارشاد، للجويني، ٣١.
[٥]() لمزيد اطلاع حول الكلام عن هذه الصفة أحيل القارئ إلى أطروحة الدكتوراه أثر المذاهب العقدية على شارحي العقيدة الطحاوية بين أكمل الدين البابرتي وابن أبي العز الحنفي دراسة مقارنة، للباحث بإشراف أ.م.د. أسماء عبد القادر العاني كلية الإمام الأعظم الجامعة، ٢٠١٦م.
[٦]() ينظر: التوحيد للماتريدي، ٤٩ - ٦٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، وتأويلات أهل السنة المحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ٣٣٧، وأصول الدين للبزدوي ٢١ ، ٢٢ وإشارات المرام، للبياضي، ١٠٧، ١٣٦.

والماتريدية يؤكدون على أن إثبات هذه الصفات لا يستلزم التشبيه، إذ إنه لا شبه بين حقيقة الخالق والمخلوق، ولو كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه للزم قدم المخلوق أو حدوث الخالق، وهذا ما لا يقول به عاقل.

قال الإمام الماتريدي (رحمه الله) موضحًا ذلك: " لو كان لشيء منه شبه يسقط عنه من ذلك القدم، أو عن غيره الحدث..." على أن الشبه من كل جهة في الخلق ممتنع لما يصير واحدًا وإنما يكون في جهة دون جهة فلو وصف بالشبه بغيره بجهة فيصير من ذلك الوجه كأحد الخلق... وليس في إثبات الأسماء وتحقيق الصفات تشابه لنفي حقائق ما في الخلق عنه[١].

وقال أبو المعين النسفي (ت ٥٠٨هـ): " إن الصانع القديم (جل ثناؤه) لا يشبه العالم، ولا شيئًا من العالم بوجه من الوجوه، لأن المتشابهين هما المتماثلان، والمتماثلان ما ينوب أحدهما مناب صاحبه، ويسد مسده... فإن كان المتغايران ينوب أحدهما مناب صاحبه ويسد مسده من جميع الوجوه كانا مثلين من جميع الوجوه، وإن كان ينوب منابه، ويسد مسده من بعض الوجوه فهما مثلان من ذلك الوجه، ثم إنما ينوب أحدهما مناب صاحبه ويسد مسده في وجه من الوجوه إن استويا في ذلك الوجه، إذًا لو كان بينهما تفاوت في ذلك الوجه لما ناب أحدهما مناب صاحبه، ولا سد مسده، وإذا عرف هذا فنقول: إن الله تعالى لو كان مثلًا للعالم، أو لشيء من أجزائه من جميع الوجوه، لكان هو جل جلاله محدثًا من جميع الوجوه أو كان ما يماثله قديمًا من جميع الوجوه، ولو كان يماثله بوجه من الوجوه لكان الله تعالى محدثًا من ذلك الوجه، أو ما يماثله من ذلك الوجه والقول بحدث القديم من جميع الوجوه أو بوجه من الوجوه، أو بقدم المحدث من جميع الوجوه أو بوجه من الوجوه محال[٢].

وما ذكرته الماتريدية من الدليل العقلي على نفي التشبيه من جهة أنه يستلزم الجمع بين النقيضين صحيح ولكنهم ساروا على هذا الأصل فقط فيهما أثبتوه من الصفات، وأما في بقية الصفات فهم على النقيض من ذلك، إذ يعتقدون أن إثباتها على حقيقتها يستلزم التشبيه والتجسيم، وهذا في الحقيقة تناقض، إذ أن القول في جميع الصفات واحد نفيًا وإثباتًا، ولا دليل على التفريق.

القسم الثاني: مذهب أهل الأثر: بما أن مذهب أهل الأثر بعد امتدادًا لمذهب سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فقد تميزوا عن غيرهم من المذاهب العقدية الأخرى فيما يخص نصوص الصفات؛

[١] () التوحيد، للماتريدي ، ٢٤.
[٢] () التمهيد في أصول الدين، ١٣ - ١٤ ، وأصول الدين، ٣١-٣٣ ، تبصرة الأدلة، ٨٦-١٠٠.

بإثباتهم جميع ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه وما أثبته رسوله في سنته، لا يتجاوزون نصوص الوحيين في الأسماء والصفات، ولا يتكلفون التأويلات، ولم ينكروا ما دلت عليه الآيات والأحاديث الواردة فيها، ولم يفهموا منها غير ما تبادر منها من معنى مع اعتقادهم أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وهم بذلك متبعون للكتاب والسنة سلفهم عن خلفهم، كما أنهم لم يفرقوا في إثباتهم بين الصفات الذاتية والصفات الخبرية،[١] إذ لم تكن هذه المسائل مثار خلاف وجدل بين سلفهم من الصحابة أو التابعين، فلا تجد لهم موقفًا في التفريق بين نوع وآخر من الصفات سوى إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه ونفاه عنه رسوله، وضابطهم في ذلك الإثبات – من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل – وإنما أثبتوها جميعًا كما جاءت بها النصوص ولم يشتغلوا بتأويلها[٢].

وبعد هذا العرض الموجز للمذاهب والفرق العقدية في الصفات الإلهية وبيان ما تبناه كل فريق منهم أعرج على ما ذهب إليه الشيخ الشعراوي في هذه القضية في تفسيره وكيف عالجها محاولًا التوفيق بين أقوال من تقدمه في هذا الجانب ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

- **المطلب الثالث: رأي الشيخ الشعراوي في الصفات الإلهية:**

تناول الشيخ الشعراوي من خلال تفسيره لسورة الأنعام بعض الصفات، وأثبت كل ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه العزيز من غير جنوح للتأويل أو سقوط في التشبيه، مستخدمًا في ذلك العقل الواعي الذي نوره الله تعالى بنور الوحي مما لا يجعل للمخالف حجة في الرد أو التشكيك، وسأعرض بعض ما تناوله في تفسيره فيما يخص هذا الجانب ومن ذلك.

أثبت الشيخ الشعراوي صفة الحياة في معرض بيانه لقوله تعالى: **(وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)**[٣]، حيث بين أن هذه الصفة يجب أن تكون من أول الصفات التي ينبغي إثباتها لله تعالى، ثم يأتي إثبات باقي الصفات كالقدرة والعلم، وغيرها بعدها، وبين أن هذه الصفات كلها قديمة لا أول لها، فلو كان عدمًا فكيف تأتي الصفات على العدم ؟!

---

[١] () أي من ناحية الإثبات والتاويل كما فعل المتكلمون. ينظر : الملل والنحل للشهرستاني: ١/ ١٠٨ ، مقالات الإسلاميين:١/ ٢٤٤ ، : ١٨٣ - ١٩٥ ، شرح الجرجاني على المواقف : ٨/٤٨.

[٢] () ينظر: العقيدة، للخلال، ١٢٧ وشرح السنة للمزني، ٧٩ والاعتقاد القادري، ٢٤٩ والاعتقاد، لابي يعلى، ٢٦ – ٤٢؛ ٣١-٢٧. وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، ١٦١ . ومجموع الفتاوى، لإبن تيمية، ٦/٥٢. ومنهج ابن ابي العز، للحافي، ٢١٣.

[٣] (٣) سورة الأنعام ، الاية ٣.

ثم راح يفسر معنى هذه الصفة ويرد على من زعم من الفلاسفة أن معناها هو الذي يكون على صفة تجعله مُدْرِكًا إن وُجِدَ مَا يُدْرَكْ[١].

فجاء رد الشيخ عليه بقوله: «إن أردت الحياة بالمعنى الواسع الدقيق فلابد أن تقول: الحياة: هي أن يكون الشيء على الصفة التي تبقى صلاحيته لمهمته، هذا هو ما يجب أن يكون عليه التعريف»، أي أن الحي: هو الذي يكون على صفة تبقى له صلاحيته لمهمته، وضرب أمثلة وضح فيها معنى التعريف الذي اختاره لهذه الصفة بالنبات، فما دمنا نجده ينمو، إذن ففيه حياة تبقى له صلاحية مهمته، فلو قطع لانتهت الصلاحية، وكذلك الإنسان عندما يموت تنتهي صلاحيته لمهمته، والعناصر الجامدة عندما تأتي مع بعضها تتفاعل، هذا التفاعل فرع وجود الحياة، لكنها حياة مناسبة لها وليست مثل حياتنا... إذن فكل كائن يكون على صفة تبقى له صلاحيته المهمة، وتكون له حياة مناسبة لتلك المهمة[٢].

والشيخ رحمه الله تعالى إذ يقرر هذا التقرير ليس رجمًا بالغيب أو ابتداعًا من عند نفسه بل جاء تقريره هذا بناء على تدبر معاني القرآن الكريم وفهم آياته، فماذا يقابل الحياة في القرآن؟ إنه الهلاك بدليل أن الله قال: **﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ﴾**[٣](الأنفال: ٤٢). إذن فالحياة مقابلة للهلاك، و(الحي) غير هالك، والهالك لا يكون حيًا، ويقول تعالى في الآخرة: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ﴾** (القصص: ٨٨). ومعنى ذلك أن كل الأجناس من أعلاها إلى أدناها، سواءً الإنسان، أو الملائكة، أو الحيوان أو النبات كلها ستكون هالكة، ومادام كل شيء سيهلك يوم القيامة فكأنه لم يكن هالكًا قبل ذلك، لكننا نحن البشر لا نفطن إلى ذلك ونفهم الحياة فقط على أنها الحس والحركة الظاهرة، إذن فكل شيء له حياة، ولا يظن ظان أنه هو الذي يهلك الأشياء ويفنيها، فعندما نأتي بحجر وندقه أو نضعه في الفرن لنصنع الجير؛ لا نقول: إننا أذهبنا من الأحجار الحياة المناسبة لها، نحن فقط قد حولنا مهمتها من حجر صلب، وصارت لها مهمة أخرى، فالمسائل تتسلسل إلى أن يصير لكل شيء في الوجود حياة تناسب المهمة التي يصلح لها، ثم أتى بعد ذلك ليقرر هذه الصفة الله سبحانه من أنها الحياة العليا، وهو الحي الأعلى وحي لا تسلب منه الحياة، لأن أحدًا لم يعطه الحياة، بل حياته سبحانه ذاتية، فهو حي على إطلاقه. قال تعالى: **﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ﴾**[٤] وأثر هذه الصفة موجود في كل الصفات الأخرى[٥].

---

[١]() ينظر: الخواطر، للشعراوي، ١٠٩٢/٢.
[٢]() الخواطر: للشعراوي، ٢/ ١٠٩٢-١٠٩٣.
[٣]() وسرة الانفال ، الاية٤٢.
[٤]() سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
[٥]() الخواطر: للشعراوي، ٢/ ١٠٩٣-١٠٩٤

فسبحانه حي بذاته، ولذلك يجب التفريق بين اسمه الحي واسمه المحيي، فهو حي في ذاته، ومحي لغيره، وإن كانت الصفة الله في الذات فهي لا تتعدى إلى الغير، فالله يوصف بها ولا يوصف بنقيضها، فنقول حي ولا نقول المقابل، ولكن إن قلت: محيي فأنت تأتي بالمقابل وتقول: مميت، وتقول: «قابض وباسط» و «رحيم وقهار» إذن : فصفة الذات يتصف الله بها ولا يتصف بمقابلها، وأما صفة الفعل فيتصف بها ويتصف بمقابلها لأنها في غيره، فسبحانه هو محي لغيره، ومميت لغيره، لكنه حي في ذاته[١].

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: (وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أثبت جملة من صفات الجمال والجلال الله تعالى وبين أن الذي ينبغي أن يتقى صفات الجلال في الله، فالله (سبحانه وتعالى) له صفات جلال وصفات جمال، صفات الجلال هي الجبار والقهار والمتكبر والقوي والقادر والمقتدر والضار وغيرها من صفات الجلال.

فالله (سبحانه وتعالى) يريدنا أن نجعل بيننا وبين صفات الجلال وقاية حتى لا نغضب الله، فيعاملنا بمتعلقات صفات جلاله، وأن نتمسك بصفات جمال الله الرحيم الودود الغفار، التواب، فإذا نجحنا في ذلك كان لنا نجاة من النار التي هي أحد جنود الله، ومتعلقات جلاله[٢].

وكذلك من الصفات التي تناولها الشيخ الشعراوي بالبحث في تفسيره صفة الكلام وهذه الصفة حدث فيها نزاع كبير بين أصحاب المذاهب العقدية، وكل تبنى فيها رأيًا رأى فيه تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه، إلا أن الشيخ الشعراوي لم يتبع فيها مذهب من سبقه من علماء الكلام، وأثبت هذه الصفة من غير تأويل ولا تعطيل، وعرض الكلام فيها وعالج القضية بطريقة يرتاح معها البال وتطمئن إليه النفس، ففي معرض الإثبات ذكر أن الوحي لموسى عليه السلام ليس من الكلام الذي قسمه الحق في قوله: **(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا)**[٣]؛ لأن الله قال في كلامه لموسى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[٤]، ورغم وقفة العلماء العقلية وقولهم: كيف يتكلم الله إذن؟ أجاب الشيخ الشعراوي (رحمه الله) بقوله: " نقول: إن كل وصف الله ويوجد مثله الخلقه إنما نأخذه بالنسبة، الله في إطار: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فإن قلت: إن الله وجودًا وللإنسان وجودًا، فوجود الإنسان ليس كوجود الله، وإن قلنا: إن الله علمًا، وللإنسان علمًا، فعلم الإنسان ليس كعلم الله، وإن قلنا: إن الله قدرة، وللإنسان قدرة، فقدرة الإنسان ليست كقدرة الله،

[١] () الخواطر ، للشعراوي ٥٠٤٩/٨.
[٢] () الخواطر ، للشعراوي ،١٨٥/١، ٣٤٠٥/٥.
[٣] سورة الشورى، الآية ٥١.
[٤] سورة النساء، الآية ١٦٤.

وإن قلنا: إن الله استواء على العرش وللإنسان استواء على الكرسي، فاستواء الله ليس كاستواء الإنسان. إذن فلا بد أن تؤخذ كل صفة من صفات الله التي يوجد مثلها في البشر في إطار قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: ١١). وبذلك، ينتهي الخلاف كله في كل ما يتعلق بصفات الحق، فالحق له يدان وله وجه، ولكن لا يمكن للإنسان أن يصور يد الله كيد البشر، بل نأخذها في إطار (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وكذلك وجه الله، وما دمنا نأخذ صفات الله في إطار (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فلا داعي للمعركة الطاحنة بين العلماء في الصفات وفي تأويل الصفات، ولا داعي أن ينقسم العلماء إلى عالم يؤوّل الصفات وعالم لا يؤول؛ لا داعي أن يقول عالم: إن يد الله هي قدرته فيؤول، وعالم آخر لا يؤول ويقول: لا إن الله يدًا ويسكت، ونقول للعالم الذي لا يؤول: قل: إن الله يدًا وهي تناسب قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وإذا كنا نحن قد عرفنا في عالمنا أن الأشياء تختلف مواجيدها في الناس باختلاف الناس، فلا بد من أن نعرف أن الله لا مثيل له[١].

ولا ندخل في نقاش لا جدوى منه حول حين فرض الحق على رسوله الصلاة كلمه وسمع منه رسول الله ﷺ أم أن رسول الله قد رأى الله وهو يتكلم معه، لا داعي للخوض في أمر لم يخبرنا الله عن كيفيته، والأدب مع الله يقتضي ذلك[٢]، قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (سورة الإسراء: الآية ٣٦).

وبهذا المنهج الحكيم خرجنا مما وقع فيه المشبهة الذين شبهوا صفات الله بصفات البشر، وخرجنا مما وقع فيه المعطلة الذين أنكروا أن يكون الله تعالى هذه الصفات وأولوها على غير حقيقتها[٣].

وبهذا التقرير السهل والمعالجة الراقية من هذا العالم الرباني (رحمه الله) تضيق هوة الخلاف ولربما تردم بين أتباع المذاهب العقدية وهذا الفهم نحتاجه اليوم لأنه هو المطلوب من المكلفين تحقيقه وهو النظر في آثار تلك الصفات ومتعلقاتها وفهم معانيها ليزداد توحيدنا وتقوى عقيدتنا بالله العظيم لا أن نجعل من الصفات محل فرقة ونزاع وتشرذم بين أتباع الملة الواحدة، والله أعلم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتقال العثرات، وتنال المكرمات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على عظيم الصفات، والمبعوث بالرحمات، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وداوم على

[١] () الخواطر الشعراوي، ٢٨٤٥/٥- ٢٨٤٦.
[٢] () المصدر نفسه ، ٢٨٤٧/٥.
[٣] () المصدر نفسه ، ٨٣٨٢/١٤.

سنته إلى أن مات. فبعد أن مَنَّ الله تعالى علي بإتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن يعم النفع فيه طلبة العلم وأهله، أسطر فيه أبرز ما توصلت إليه من نتائج وكما يأتي:

١. استدل الشيخ الشعراوي على وجود الله تعالى بما هو جديد ومقنع في نفس الوقت لكل من يقرأ ويطالع كلامه في تفسيره، وهذا أن دل على شيء فهو يدل على نبوغه وسعة فهمه.

٢. تناول الشيخ الشعراوي قضية توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة بإسلوب سهل ويسير يفهمه العامي فضلًا عن العالم، دون الإغراق في التعقيدات الكلامية ولا المصطلحات الفلسفية.

٣. بدا لي أن الشيخ الشعراوي في تفسيره لسورة الأنعام اتبع في باب الصفات منهج أهل الأثر من علماء هذه الأمة المباركة، فلم يجنح لا إلى التأويل ولا إلى التشبيه، بل أثبت كل ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه منزها المولى جل في علاه عن مشابهة مخلوقاته.

٤. لم يتعرض الشيخ الشعراوي إلى أقوال الفرق العقدية في المباحث التي تناولها عرضًا وردًا وإنما اكتفى بتفسير النصوص تفسيرًا عقديًا.

وفي الخاتمة يبقى كل عمل وجهد بشري يعتريه النقص والزلل فان كنت مصيبًا فيه فذلك بتوفيق الله تعالى وكرمه وفضله وإن جانبني الصواب فمن نفسي والشيطان واستغفر الله منه. وصل اللهم على عبدك وخيرتك من خلقك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. الشعراوي أنا من سلالة أهل البيت، سعيد أبو العينين، د/ ط.

٢. معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت.

٣. خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت : ١٤١٨هـ)، الناشر : مطابع أخبار اليوم

٤. تكملة معجم المؤلفين (١٣٩٧ – ١٤١٥ هـ) – (١٩٧٧) – ١٩٩٥ (م)، محمد خير بن رمضان بن اسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط / ١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٥. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت عبيد الله بن سعيد بن حاتم سجزي الوائلي البكري، أبو نصر (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله ، ١٣٥ ط / ٢ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٦. قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى : ٥٠٥هـ)، المحقق: موسى محمد ي عالم الكتب – لبنان، ط/ ٢ ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
٧. واتحاف السادة المتقين، محمد بن محمد الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٨. وعمدة المريد الجوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم اللقاني، ت (١٠٤١) تحقيق، رياض جلوب جاسم العيساوي.
٩. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) بن أحمد، تحقيق، عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط/ ٣، ٥١٤١٦ – ١٩٩٦م.
١٠. المحيط بالتكليف لقاضي القضاة أبي الحسن أحمد عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ). تحقيق: يان بيترس دار شرق بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
١١. المغني في أبواب التوحيد والعدل ، كتاب إعجاز القرآن ، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد ابادي ، (ت ٤١٥ هـ) ، قوم نصه أمين الخولي، ط/ ١ ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠ م .
١٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري وارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٣. الإنصاف فيما يجب الاعتقاد به ولا يجوز الجهل به ، للقاضي الباقلاني ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط ٢ ، ١٩٦٣م، مطبعة السنة المحمدية ، مصر.
١٤. المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت، ط/ ١ ، ١٩٩٧.
١٥. شرح المقاصد في علم الكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، تحقيق، دار المعارف النعمانية، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م، باكستان.
١٦. تحفة المريد على جوهرة التوحيد الشيخ ابراهيم بن محمد الباجوري ، (١٢٧٦هـ)، ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنار مكتبة دار البيروني، دمشق، ط/ ١، ١٤٣٣ هـ – ٢٠٠٢م.
١٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة.
١٨. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ –١٩٩٧ م.
١٩. الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)، دار الكتب العلمية، ط/ ١٤٠٨١هـ – ١٩٨٧م.
٢٠. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.
٢١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
٢٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.
٢٤. وتاريخ المذاهب الإسلامية ، للإمام محمد أبي زهرة ، ط ١٩٩٦ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
٢٥. الباقلاني وآراؤه الكلامية، الدكتور محمد رمضان عبد الله، مطبعة الأمة، بغداد ، ١٩٨٦.
٢٦. معجم مقاييس للغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.
٢٧. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني.
٢٨. التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ). الناشر : عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت – القاهرة، اط / ١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٢٩. تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.
٣٠. عقيدة السلف أصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت سنة ٤٤٩ هـ)، د/ ط.
٣١. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط/ ١،١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.
٣٢. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي (ت : ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١ ، ١٤١٨هـ.